التشيع في الأندلس

الوجود الشيعي المبكر منذ عهد الفتح

بقلم
الباحث باسم محمد ناصر
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

00964- 7710122232
Alfaidcenter2011@gmail.com
العراق - بغداد - الكرادة

مقدمة

تتناول هذه الدراسة بيان ودراسة الوجود الشيعي المبكر في الأندلس منذ عهد الفتح الإسلامي، مع التركيز على العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية التي ساعدت على انتشار الفكر الشيعي، وأثره في الحياة الفكرية والدينية، كما يناقش البحث طبيعة العلاقة بين الشيعة والسلطة الأموية في قرطبة، ويستعرض أبرز الشخصيات الدينية والسياسية والادبية والأنشطة الفكرية التي ساهمت في ترسيخ حضورهم.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، التشيع، الدولة الحمودية، الدولة الأموية، الحركات الدينية.

منذ الفتح الإسلامي للأندلس سنة 92هـ/711م، بدأت تتشكل ملامح مجتمع جديد متنوع في بنيته الدينية والفكرية، ورغم أن المذهب المالكي أصبح لاحقًا هو المذهب الغالب، فإن بذور الفكر الشيعي ظهرت مبكرًا بفعل عوامل سياسية مرتبطة بالصراع مع الدولة الأموية في المشرق، إضافة إلى انتقال بعض العلماء والجنود الذين حملوا معهم هذا الفكر، وقد شهدت الأندلس منذ بداياتها تفاعلات مذهبية وفكرية متعددة، كان أبرزها حضور الفكر الشيعي الذي وصل إليها عبر الرحلات العلمية، والدعوة الفاطمية، والصراعات السياسية بين العرب والبربر.

وعلى الرغم من أن الأندلس ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالخلافة الأموية في قرطبة، فإن التشيع وجد لنفسه موطئ قدم منذ العصور الأولى، وتطور لاحقًا إلى محاولات ذات طابع سياسي، ويُعد حضور العلويين والفكر الشيعي في أقصى الغرب الإسلامي حضورًا مهمًا في مسار استقرار الإسلام وتنمية الأمة الإسلامية، فقد ساعدت عوامل سياسية واجتماعية وثقافية وعقائدية متفرقة على ظهور وانتشار التشيع في بعض مناطق الأندلس، ويسعى هذا البحث إلى تتبع جذور التشيع في الأندلس، ورصد مظاهره المبكرة، وتحليل أثره في الحياة الفكرية والسياسية، مع إبراز التحديات التي واجهها في بيئة يغلب عليها النفوذ الأموي.

الخلفية التاريخية للفتح الإسلامي للأندلس

يُعد فتح الأندلس سنة 92هـ/711م حدثًا بارزًا في التاريخ الإسلامي، إذ مثّل بداية مرحلة جديدة من التوسع الحضاري والسياسي في الغرب الإسلامي، لم يكن الفتح مجرد حملة عسكرية، بل أسهم في تشكيل مجتمع متنوع دينيًا وفكريًا، ما أتاح لاحقًا ظهور تيارات متعددة، وقد قاد الجيش المسلم بقيادة طارق بن زياد، الذي نزل بجبل طارق ثم انتصر على الملك لذريق في معركة وادي لكة، وكان معظم الجيش من العرب والبربر.

تعددت أسباب الفتح، منها إقبال البربر على الإسلام بعد فتح المغرب، ورغبتهم في الجهاد، إضافة إلى خلاف والي طنجة يُليان مع الملك لذريق بسبب اعتداء الأخير على ابنته، وهو ما دفعه لتشجيع المسلمين على الغزو، كما رأى المسلمون أن التوجه نحو الأندلس، بما فيها من حضارة وغنى، أنفع للدولة الأموية من التوسع في الصحارى والواحات، وقد تم الفتح بسرعة نسبية، وأقر المسلمون حقوق المسيحيين واليهود في ممارسة شعائرهم مقابل الجزية، كما اعتنق كثير من القوط الإسلام وامتزجوا بالفاتحين، بينما انسحب آخرون إلى شمال شبه الجزيرة.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

عاد موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق سنة 96هـ/714م بأمر الخليفة الوليد بن عبد الملك، ولم يواصلا نشاطًا سياسيًا أو عسكريًا بعدها، وظلت نهاية طارق بن زياد غامضة، مثّل هذا الفتح بداية حضور إسلامي امتد نحو ثمانية قرون، تخللتها صراعات مع الإمارات والممالك المسيحية حتى سقوط غرناطة سنة 897هـ، وخلال تلك الحقبة، أسس المسلمون حضارة عظيمة في الأندلس، ونتج عن التعدد العرقي حراك اجتماعي واسع، حيث امتزج العرب والبربر والقوط في نسيج واحد، وتعرّب بعض المسيحيين الذين عُرفوا بالمستعربين، فكتبوا لغتهم بالأحرف العربية وتثقفوا بالثقافة الإسلامية مع احتفاظهم بخصوصيتهم الدينية.

الأوضاع السياسية بعد الفتح

يتصل فتح الأندلس بسياسة الفتوح في المغرب، إذ ارتبطت دوافع عبور المسلمين للمضيق بالأوضاع الدينية والجغرافية والسياسية التي عاشها السكان قبل الفتح. ويشير المؤرخون إلى ضرورة التعامل بحذر مع المصادر التاريخية، فالمصادر العربية والإسلامية كُتبت بعد الفتح بزمن طويل، ما يجعلها متأثرة بالأجواء الفكرية والسياسية اللاحقة، مثل كتاب المقري "نفح الطيب" في القرن السابع عشر. أما المصادر المسيحية، فأبرزها "تأريخ عام 754"، وهو معاصر للحدث لكنه غامض رغم اعتباره موثوقًا.

بعد استقرار الحكم الإسلامي، خضعت الأندلس لسلطة الولاة التابعين للخلافة الأموية في دمشق، ما جعلها ساحة للتأثر بالصراعات المذهبية في المشرق. فقد سعى الأمويون لتثبيت نفوذهم، بينما وجد بعض الشيعة في الأندلس أرضًا بعيدة عن مركز السلطة تتيح لهم هامشًا فكريًا. وساهمت عوامل عدة في انتقال الفكر الشيعي، منها هجرات القبائل والعلماء من المشرق، والصراعات السياسية المعارضة للأمويين، إضافة إلى الانفتاح الثقافي عبر التجارة والرحلات العلمية، وهو ما فتح آفاقًا جديدة لانتشاره.

مراحل التشيع في الأندلس وملامح التأثير

ارتبط فتح الأندلس منذ بداياته بتاريخ العلويين ومعاركهم ضد السلطات الأموية والعباسية، إذ تذكر المصادر أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر أصحابه في منطقة فخ أن أبناءه سيُقتلون هناك دفاعًا عن الإسلام، وهو ما تحقق لاحقًا في معركة فخ سنة 169هـ التي استشهد فيها عدد كبير من العلويين، ومن بينهم أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن، وقد تمكن إدريس بن عبد الله من النجاة والفرار إلى المغرب، حيث أسس دولة الأدارسة سنة 173هـ، فكان ذلك بداية المدّ الشيعي في المغرب الأقصى.

ساهم الأدارسة والفاطميون في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام بين البربر، وانتقل هذا الفكر إلى الأندلس عبر الهجرات والرحلات العلمية، وفي القرن الخامس الهجري ظهرت دولة بني حمود الحسينية في جنوب الأندلس (407هـ) بعد سقوط الدولة الأموية، وكان لها دور في تعزيز حضور التشيع بين قبائل صنهاجة التي بايعت الفاطميين في شمال أفريقيا، ومع ذلك، لم يكن التشيع في الأندلس بقوة حضوره في المغرب، بسبب طبيعة الأندلس التي ظلت في حالة جهاد دائم ضد الممالك المسيحية، بخلاف المغرب الذي عرف استقرارًا نسبيًا.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

من أبرز الشخصيات التي ساعدت على نشر التشيع في الأندلس حنش بن عبد الله الصنعاني، أحد تلامذة الإمام علي عليه السلام، الذي هُجّر من دمشق إلى مصر ثم الأندلس، حيث أسس مسجد قرطبة ووضع قبلته، كما أسس مسجد سرقسطة وتوفي هناك، كذلك كان لوالي غرناطة عبد الله بن سعيد بن جابر أثر بارز في دعم الفكر الشيعي، مقتفيًا أثر جده الصحابي عمار بن ياسر رضوان الله عليه.

أما في المغرب، فقد كان للإمام جعفر الصادق عليه السلام دور محوري في نشر التشيع، إذ أرسل تلميذيه الحلواني وأبا سفيان إلى قبائل كتامة، حيث نجحا في غرس بذور الفكر الشيعي وتعريف الناس بنسب أهل البيت وأحقيتهم في قيادة الأمة، في مواجهة تحريف السلطة الأموية والعباسية. وقد ساعد هذا النشاط الدعوي على تأسيس قاعدة شعبية واسعة للفكر الشيعي في المغرب، بخلاف الأندلس التي واجهت عراقيل سياسية ومذهبية.

ومع مرور الزمن، تعرض تاريخ التشيع في الأندلس لتهميش من قبل المؤرخين الذين ركزوا على الطابع الأموي للفتح والسقوط، وأغفلوا وجود تيارات مذهبية أخرى. فقد صُوّر تاريخ الأندلس وكأنه مالكي المذهب خالص، رغم وجود محاولات لنشر مذاهب أخرى مثل مذهب أبي حنيفة على يد بقي بن مخلد في عهد محمد بن عبد الرحمن الأموي. ويُعزى هذا التحيز إلى أن تدوين تاريخ الأندلس كان بيد مؤرخين موالين للسلطة الأموية، فكتبوا ما يوافق أهواء الحكام، وتبنى من جاء بعدهم نفس الرواية دون تمحيص، ومع ذلك، فإن التشيع دخل الأندلس منذ الفتح الأول مع بعض التابعين والأنصار للإمام علي عليه السلام، مثل حنش الصنعاني وعبد الملك بن قطن الفهري، الذي عُرف بمشاركته في وقعة الحرة ضد جيش يزيد بن معاوية، ثم صُلب ومُثّل به سنة 123هـ. هذه الشواهد تؤكد أن التشيع كان حاضرًا في الأندلس منذ بداياتها، وإن لم يحظَ بالانتشار الواسع الذي عرفه في المغرب.

دور الأدب في نشر مذهب اهل البيت عليهم السلام في الاندلس

حرص الأدباء والشعراء الأندلسيون على تداول المؤلفات والأشعار التي تحمل حب آل البيت، ورغم محاولات بعض مؤرخي العامة إهمال الأدب الشيعي أو حذفه مثلما اعترف المقري في نقله لكتاب "درر السمط" لابن الأبار، إلا أن أثره تسرب للمكتبة الأندلسية، من خلال دواوين الشعرالتي ظهرت فيها نزعات وميول واضحة في مديح أهل البيت وتتضمن عاطفة شيعية قوية برزت خلال فترات مختلفة، وقد تمظهرت مرجعيات التشيع بالأندلس في عصري الأمويين وملوك الطوائف،إذ اتخذ التَشيُّع في شعر عصري الخلافة الأموية وملوك الطوائف تجليات وانعكاسات مختلفة، تدور حول إثبات فكرهم ومعتقداتهم، **إذ تجلت مظاهر التشيع في النصوص الشعرية والتي توزعت وفق المحاور الآتية:**

مديح آل البيت الكرام

يأخذ غرض المدح في أشعار التَّشَيُّع قيمة خاصة، فهو يُصَوِّر ما كان عليه آل البيت من: شرف أنساب، وكرم أخلاق، فيأخذ المدح بذلك أبعادًا اجتماعية وأخلاقية، ومِن أشهر الشعراء الذين تَشَيَّعُوا لآل البيت في الأندلس

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الشاعر ابن هانئ الأندلسي الذي يقول في **بعض أشعاره مادحًا آل البيت الكرام:**

أبناء فاطم هل لنا في حشرنا لجا سواكم عاصم ومجار
أنتم أحباء الإله وآله خلفاؤه في أرضه الأبرار
أهل النبوة والرسالة والهدى في البينات وسادة أطهار

يُعَدِّدُ ابن هانئ في الأبيات السابقة فضائل ومآثر آل البيت، فيوضح أنهم أحبة الله وخلفاؤه في الأرض، وأنهم أهل الرسالة والنبوة السادة الأطهار، وأنهم سبب هداية البشر أجمعين، فلا يوجد عاصم ولا ملجأ إلا إليهم، وهم خير البرية، ثم يلجأ ابن هانئ إلى وصف فضائل أهل البيت قائلًا: إنهم لو لمسوا الصخر لانفجر وتدفَّقتْ منه الأنهار، معتمدًا بذلك على التَّناص القرآني، ومستخدمًا الآية الكريمة **"فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا"**، واعتماده على التَّناص يرجع إلى ثقافته الدينية الواسعة التي اكتسبها من خلال دراسة القرآن الكريم، وإجادة حفظه، وقال القحطاني في مدح السيدة فاطمة الزهراء والإمام عليّ وابنيهما الحسن والحسين عليهم السلام:

أكرم بفاطمة البتول وبعلها وبمن هما لمحمدٍ سبطان
غصنان أصلهما بروضة أحمد لله در الأصلِ والغصنان

يمدح الشاعر آل البيت الكرام، وبمقدمتهم السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها سيدة نساء العالمين، زوج الإمام عليّ بن أبي طالب، وأم الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله، وريحانته مِن الدنيا، والتي كانت مِن سيدة النساء إيمانًا وزهدًا، وكرمًا، وورعًا، ويقصد الشاعر بالغصنين: الحسن والحسين عليهما السلام فهما غُصْنا شجرة أصلها نبي الهدى محمد صلى الله عليه وآله، فَنِعْمَ الأصل، ونِعْمَ الفرع.

الوصية لعليِّ بن أبي طالب "عليه السلام"

الوصية عند شيعة أهل البيت هي نص النبي صلى الله عليه وآله على استخلاف عليِّ بن أبي طالب "عليه السلام" بعده، وقد قام بعض الشعراء بالدفاع عن أحقية العلويين بالخلافة، وقاموا بتصوير مظلوميتهم، متخذين مِن أشعارهم وسيلة لإثبات أولويتهم بالخلافة عن طريق الاستمالة العاطفية أحيانًا، والإقناع العقلي المستند إلى بعض النصوص أحيانًا أخرى، مثل آية التطهير، وحديث الغدير، فقال ابن دراج أيضًا هذه القصيدة، **مشيرًا إلى فكرة الوصية:**

إلى الفاطمي العطوف الوصول إلى الهاشميإلى الطالبي
إلى ابن الذبيح إلى ابن الخليل إلى ابن الوصي إلى ابن النبي

قال ابن دراج هذه القصيدة في مدح علي بن حمود، وهي قصيدة طويلة، وقد أبدع وأجاد فيها، وأشاد بها الكثيرون، ويؤكد فيها أن علي بن حمود مِن نسل الهاشميين الفاطميين، فهو ابن الإمام عليّ بن "أبي طالب"، وابن النبي محمد صلى الله عليه وآله، كما أَرْجَعَ نَسبه أيضًا إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام وتتجلَّى فكرة الوصية في الأبيات موضحًا أن الإمام عليًّا هو وَصِيّ محمد عليهم السلام بالخلافة.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

وقال ابن هانئ في أحقية العلويين في الخلافة:

أبناء نتلة مالكم و لمعشر هم دوحة الله الذي يختار
ردوا إليهم حقهم وتنكبوا وتحملوا فقد استحم بوار
ودعوا الطريق لفضلهم فهم الالى لهم بمجلة الطريق منار

في النص السابق يتعمد ابن هانئ الإساءة للعباسيين، وذلك عن طريق نسبهم إلى أمهم نتلة، لا إلى أبيهم العباس، فيطلب منهم أن يتركوا الخلافة، ويتنحَّوْا ويرتحلوا بعد إعطاء الحق لأهله، مطالبًا بحق ديني نُزِعَ من العلويين دون وجه حق، ويرى أن العار يلاحقهم، فَهُمْ رجالُ لَهْوٍ وطرب، والذين جحدوا حقهم هم أهل القرآن، وهم أهل الفضل، وهُم المنار مِن الجهل والشرك، ويرى الشاعر أن أي محاولة لعدم الإقرار بأحقية عليّ بالخلافة هي عصيان صريح لأوامر الله تعالى.

وقال ابن هانئ كذلك في فكرة الوصية لعليّ بن أبي طالب "عليه السلام":

نازعتم حق الوصي ودونه حرم وحجر مانع وحجون
ناضلتموه على الخلافة بالتي ردت وفيكم حدّها المسنون
حرفتموها عن أبي السبطين عن زمع وليس من الهجان هجين
لو تتقون الله لم يطمح لها طرف ولم يشمخ لها عرنين
لكنكم كنتم كأهل العجل لم يحفظ لموسى لهم هارون

يؤكد الشاعر في النص السابق على مفهوم فكرة الوصية، وأن الأمويين أيضًا جحدوا هذا الحق، ويوجه الخطاب لهم قائلًا: صرفتم الخلافة عن أبي الحسنَيْن اللذَيْن هما سِبطا رسول الله صلى الله عليه وآله، خوفًا من أن يتقلَّدها، فتكونوا محرومين منها، وقد تركْتم تقوى الله ورضختم لرغباتكم، فأصبحتم كَبَني "إسرائيل" حينما تركهم موسى مع أخيه ووزيره هارون، فلم يحفظوا الحق الذي لموسى مع هارون، وكادوا يقتلون هارون، ويميل الشاعر في الأبيات إلى التضمين القرآني لقصة العجل، ويرى أن النبي محمدًا صلى الله عليه و آله حزين في قبره لما حدث لآل بيته الكرام، وفي النهاية يطلب منهم أن يعيدوا الحق لأهله، ويردُّوا عليهم حكمهم، لأن فيهم قد نزل القرآن والتبيين.

الفكر الشيعي من التأثير في الأمة إلى تأسيس دولة

تأثرت بعض المدارس الفكرية الأندلسية، مثل مدرسة ابن مسرة في ألميرية، بالفكر الشيعي العراقي والأفكار الباطنية. وقد أثار دخول التشيع وظهور شخصيات علمية بارزة من العلويين في مجالي الكلام والفلسفة قلقًا شديدًا لدى الأمويين في الأندلس، فتصدّوا بشدة لنفوذ الفكر العقلي، وفرضوا حصارًا على الفلسفة والكلام استمر أكثر من ثلاثة قرون.

في هذا السياق برز محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي (270-317هـ)، أحد رواد الفلسفة في الأندلس، الذي ابتكر أسلوبًا في تدوين المعاني الخفية لا يفهمه إلا المتبحرون. اتهمه الأمويون بالسعي لتأسيس حزب فاطمي،

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

فتعرض للاضطهاد واضطر إلى الفرار من قرطبة إلى شمال أفريقيا.

شكّل الفكر الشيعي مادة خصبة للحوار والمناظرة، حيث عقد أتباع أهل البيت مجالس خاصة لإثبات أحقية آل البيت بالولاية، وإظهار عقائدهم في أصول الدين وفروعه من عبادات ومعاملات وقضاء. كما ساعد التواصل الجغرافي والسياسي مع شمال أفريقيا على انتقال الأفكار الشيعية ومصنفاتها إلى الأندلس، عبر دول المغرب كالأدارسة والفاطميين، إضافة إلى الدولة الحمودية التي أسسها بنو حمود من الأدارسة العلويين، مثل طائفة مالقة، مما وفر بيئة سياسية أكثر تسامحًا سمحت بظهور الثقافة الشيعية المعتدلة، وتُعد دولة بني حمود أول تجلٍ سياسي للتشيع في الأندلس. أما دولة الأدارسة، وهي أول دولة شيعية في المغرب (172-312هـ)، فقد تعرضت لضغوط من الأمويين في الأندلس، وانتهى حكمها بسقوطها على يد أحد قادة الخليفة القرطبي في العهد الثاني (350-366هـ). وقد سببت هذه السياسة أزمة للأمويين، إذ إن قبائل البربر في الأندلس بايعت إدريس بن عبد الله منذ تأسيسه دولة الأدارسة، ما عزز الروابط بين الأندلس والمغرب في نشر الفكر الشيعي.

الأدارسة والفاطميون في مواجهة الأمويين بالأندلس

كان أمير الأدارسة في عهد عبد الرحمن الناصر يُدعى الحسن بن كنون، وهو من نسل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وقد سقطت دولة الأدارسة في المغرب في عهده، فبايع الحسن الفاطميين، وعندما سيطر جوهر الصقلي على المغرب أخذ يدعو له، ونقض عهده مع الناصر. لكنه ما لبث أن عاد إلى طاعة الأمويين بعد رجوع جوهر إلى أفريقيا سنة 349هـ، ثم أعلن ولاءه لابن الناصر، الحكم المستنصر، سنة 350هـ غير أن هذا الولاء كان شكليًا، إذ ظل العداء مستحكمًا بين الأدارسة والأمويين. وفي سنة 362هـ اشتبك الحسن مع جيش الحكم وانتصر عليهم في المغرب، ثم عبر إلى الأندلس حيث استُقبل في قرطبة استقبالًا لائقًا، لكنه أُخرج لاحقًا إلى مصر سنة 365هـ، وظل هناك حتى 373هـ في حماية العزيز بالله الفاطمي.

لقد مثّل نشاط المبلّغين الشيعة الذين أرسلهم الفاطميون إلى الأندلس. متخفّين بزي التجار. تهديدًا مباشرًا لعقائد العامة، وأثار قلقًا شديدًا لدى الأمويين في قرطبة، ومع اتساع نفوذ الفاطميين في المغرب الإسلامي، وامتداد تأثيرهم إلى الأندلس، ازدادت الهوة بين الأمويين والعلويين، خاصة مع نفور أتباع المذهب المالكي من تقبّل الفكر الشيعي، لذلك وضع الأمويون إسقاط الدولة الفاطمية على رأس أولوياتهم السياسية، فحرّكوا بعض قبائل البربر في شمال أفريقيا ضد الفاطميين، مما أدى إلى تقليص نفوذهم واقتراب دولتهم من الانهيار.

البيئة السياسية والفكر الشيعي في الأندلس

يتضح أن الجو السياسي السائد في الأندلس كان يتجه ضد الفكر الشيعي، وإذا استثنينا بعض الفترات التي شهدت قيام دول علوية أو منسوبة للعلويين مثل دولة بني حمود (407-449هـ) ودولة الموحدين (541-668هـ)، فإن معظم مناطق الأندلس لم توفر أرضية مناسبة لازدهار الفكر الشيعي، فقد واصل الأمويون نهجهم في التصدي الشديد للأفكار العلوية، واستمر هذا النهج في مختلف عهودهم داخل الأندلس وخارجها.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

كما أن دولًا مثل المرابطين (448-541هـ)، التي استندت فقهيًا إلى المذهب المالكي، منعت تأسيس المدارس الخاصة، وتبنت الاتجاه الأشعري الذي أكد ضرورة البيعة للخلافة العباسية، مما أدى إلى انعدام الأجواء المناسبة لظهور الفكر الشيعي في المغرب والأندلس بشكل نهائي تقريبًا.

الملاحقة الفكرية للشيعة

وقع المفكرون والناشطون العلويون في الأندلس تحت وطأة الملاحقة المستمرة، ومن أبرز الأمثلة المؤلف الشيعي محمد بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (595-658هـ)، صاحب كتاب معدن اللجين في مراثي الحسين "عليه السلام" والحلة السيراء ودر السمط في أخبار السبط، وقد انتقل ابن الأبار إلى تونس بعد سقوط بلنسية، لكنه قُبض عليه بتهمة التشيع ومعارضة السلطان الحفصي محمد الأول، فأُعدم سنة 658هـ وأُحرقت كتبه، في مشهد يلخص حجم التضييق الذي واجهه الفكر الشيعي في الأندلس والمغرب.

مواجهة العلويين في الأندلس

يتضح مما سبق أن مختلف الأساليب استُخدمت لمواجهة العلويين وأتباعهم في الأندلس، وهي لا تختلف عمّا جرى في بقية البلاد الإسلامية، ومن أبرز تلك الأساليب سياسة الاتهام، حيث وُجّهت للعلويين تهم إنكار نسبهم، ومعاقرة الخمر، والفسق، والكفر والزندقة، بل وعدهم من الخوارج، كما سعى خصومهم إلى تشويه حقيقة التشيع ونسبته إلى اليهودية أو المسيحية. واللافت أن هذه التهم لم تقتصر على الحكام الأمويين، بل شارك فيها بعض العلماء المعاصرين لهم. فعلى سبيل المثال، عُرف عبد الله بن محمد الذي ثار ضد عبد الرحمن الداخل بلقب "الشقنا" أي القليل، ورأى ابن خلدون أنه كان مدّعيًا في نسبه إلى الحسين الشهيد، أما ابن حزم الأندلسي فقد أظهر عداءً شديدًا للشيعة في كتابه الفصل في الملل والنحل، فأخرجهم من دائرة الإسلام وألحقهم باليهود والنصارى.

الفاطميون ومظاهر العداء

كان الفاطميون أكثر الفرق العلوية تعرضًا للهجوم، خاصة في عهد المعز الفاطمي، بسبب إعلانهم بعض الشعائر الشيعية علنًا مثل الأذان بـ"حي على خير العمل"، وإقامة مراسم عاشوراء، والاحتفال بعيد الغدير، إضافة إلى تسمية دولتهم باسم السيدة فاطمة الزهراء، وإطلاق اسمها على الجامع الأزهر. هذه المظاهر دفعت خصومهم إلى إنكار نسبهم إلى آل البيت، ولم يقتصر الأمر على خصومهم من العامة، بل تعداه إلى بعض الفرق الشيعية الأخرى، إذ رفض البويهيون التعاون مع الفاطميين وشككوا في نسبهم، بل شكّل عضد الدولة البويهي هيئة من العلويين لإبطال نسب الفاطميين، مما أدى إلى انشقاق سياسي بين الدولتين العلويتين.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الحرب الباردة بين الأندلس والفاطميين

أدى استحكام العداء بين الأمويين في الأندلس والفاطميين إلى قيام حرب باردة بين الطرفين، شملت إرسال الجواسيس وتبادل الاتهامات. وقد اتُّهم بعض المؤرخين مثل ابن حوقل وابن هارون البغدادي بالتجسس لصالح الفاطميين. وفي سنة 316هـ اعتبر عبد الرحمن الناصر أن الخلافة الأندلسية في حالة حرب مع الفاطميين، فحرّك قبائل المغرب ضدهم، مما زاد التوتر وأضعف النفوذ الفاطمي في المنطقة.

استمرار التعصب في الكتابات التاريخية

لم يقتصر التعصب ضد الدول الشيعية على تلك الحقبة، بل امتد إلى بعض المؤلفات اللاحقة. فمؤلف كتاب الدولة الأيوبية وصف ثورة عمّار اليمني ضد الأيوبيين بأنها "مؤامرة"، ومؤلف كتاب الدولة الأموية في الأندلس أنكر تشيع الأدارسة رغم أنهم مؤسسو أول دولة شيعية في العالم الإسلامي.

أثر الأجواء السياسية والدينية

يمكن القول إن الأوضاع المتشنجة في الأندلس لم تقتصر آثارها على العلويين وحدهم، بل شملت المفكرين غير الشيعة أيضًا، وجعلتهم في حرج من إعلان عقائدهم بصراحة، مما أعاق نمو روح النقد في البحث العلمي. وبمطالعة كتب التاريخ المدونة في تلك الحقبة نلاحظ سيطرة أجواء الانغلاق، وندرة النقد أثناء التدوين التاريخي. فباستثناء ابن حزم والقاضي ساعد الأندلسي، لم يجرؤ المؤرخون على تحليل الأوضاع السياسية والدينية، ومن حاول ذلك وقع في شراك التعصب الطائفي أو أخطاء أخرى.

ثورات الشيعة في الأندلس

ويذكر الدكتور كاظم شمهود طاهر، في كتابه "الشيعة في الأندلس... الخلافة الحمودية العلوية"، أنه بعد سقوط الدولة الأموية في دمشق أصبح الجو ملائماً لكي تثمر الدعوات الشيعية التي بدأت تنتشر منذ زمن بعيد في شمال إفريقيا والأندلس، خاصةً بين قبائل البربر، لذا انتشرت ثورات الشيعة في الأندلس ضد الأمويين، وكانت تحمل الأسباب نفسها التي كانت عند العلويين في المشرق.

ومن بين هذه الثورات، ثورة عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر، وهو حفيد عمار بن ياسر صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام الذي استشهد في معركة صفين، ويروي طاهر أن عبد الله كان أحد قوّاد موسى بن نصير، في أثناء فتح الأندلس، وواحداً من البيوت العربية الشيعية التي يعود لها دور في انتشار التشيع في الأندلس، وقد تولى عبد الله ولاية البيرة، وثار على عبد الرحمن الداخل عام 143 هـ، وحدثت بينهما معركة كبيرة انتهت بانتصار عبد الرحمن ومقتل ابن سعيد.

ومن أهم هذه الثورات الشيعية ثورة شقيا بن عبد الواحد المكناسي، الذي قاد أول ثورة شيعية عارمة في شرق الأندلس ضد الأمير عبد الرحمن الداخل في الفترة من سنة 151هـ إلى 160هـ، وامتدت ثورته ما بين ماردة وقورية غرباً إلى الثغور ووادي الحجارة وقوينقة شرقاً، أي جميع الهضبة الوسطى.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

لم تفلح الحملات العسكرية على مدار تسع سنوات في هزيمة شقيا، بل أنهكت الدولة الأموية اقتصادياً وبشرياً، خاصةً أن القبائل البربرية كانت تحيط به، لذا لجأ عبد الرحمن الداخل إلى مؤامرة داخلية قام بها اثنان من أصحاب الثائر للقضاء عليه، وهما أبو معن داود بن هلال، وكنانة بن سعيد، حيث انقضّا عليه ذات يوم وقتلاه واجتزّا رأسه وحملاه إلى عبد الرحمن في قرطبة، وبذلك انتهت ثورة شقيا سنة 160هـ.

ومن الثورات الشيعية أيضاً، تلك التي قام بها الحسين بن يحيى الأنصاري، الذي ثار في سنة 160هـ في سرقسطة، وخلع طاعة عبد الرحمن، واستمرت ثورته سبع سنوات، استطاع خلالها أن يسيطر على مناطق كثيرة، لكنها انتهت عندما سار عبد الرحمن الداخل بنفسه إلى سرقسطة، وحاصرها بشدة وضربها بالمنجنيق ضرباً عنيفاً، حتى هدم أسوارها واقتحمها عنوةً وقبض على الحسين وجماعة من أصحابه وقتلهم جميعاً وشرّد الكثير من أهلها، كما روى طاهر.

وهناك ثورة أحمد بن معاوية بن هشام، المعروف بـ"القط"، الذي ثار سنة 288هـ، في زمن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الداخل، وكانت ثورته في منطقة الجوف، وتحديداً في أحواز مدينتي طليطلة وطلبيرة، وقد تأثر بالدعوة الفاطمية تأثراً كبيراً ودعا إلى التشيع، وادّعى أنه المهدي المنتظر، وأنه جاء لإصلاح هذه الأمة بعدما عمّ فيها الجور والفساد، فالتفّت حوله جموع غفيرة من البربر، وأعلن الجهاد ضد النصارى، وقدم إلى مدينة ثامورا لفتحها، وكتب إلى ألفونسو الثالث ملك ليون وجليقية وأستورياس (ممالك مسيحية)، رسالةً عنيفةً يدعوه فيها إلى الإسلام وينذره بالويل إذا أبى، وكان ألفونسو يومذاك، مع قواته، على مقربة من ثامورا، فسار إلى لقاء المهدي وقواته، ودارت المعركة في مخاض نهر دويرة أمام أسوار ثامورا، فهزم ابن القط جيش ألفونسو أولاً، وارتدوا، وحاصر المهدي ثامورا، غير أن خيانةً حدثت في جيش المهدي في أثناء الحصار، حيث انسحب زعماء البربر بقواتهم خشيةً من تفوقه عليهم وغدره بهم، وصمد ابن القط مع من بقي معه، ثم نشبت معركة بينه وبين النصارى انتهت بقتل ابن القط وتمزيق قواته، واجتُزّ رأسه، وسُمّر فوق أحد أبواب ثامورا، وكان ذلك في شهر رجب سنة 288هـ.

الدولة الحمودية الشيعية

استمرت الثورات والانتفاضات في الأندلس حتى قيام الدولة الحمودية الشيعية. ويذكر ابن الخطيب الأندلسي أن بعض أنصار الخليفة المقتول محمد بن هشام أرسلوا رسالة إلى علي بن حمود أمير سبتة، تضمنت وثيقة منسوبة إلى هشام المؤيد بخطه، يعهد فيها بالخلافة إلى علي بن حمود، ويعده بتذليل الصعاب وتسهيل الاستيلاء على الحكم،وقد تردد صدى التشيع في الأندلس أول مرة بين صفوف البربر الذين شكّلوا غالبية الجيش الفاتح، خاصة بعد أن استأثر العرب بالمغانم. فتقدم ابن حمود واشتبك مع جيش سليمان المستعين، وهزمه، ثم دخل قصر قرطبة سنة 407هـ، وبويع له بالخلافة من العرب والبربر، وتلقب بالناصر لدين الله، مؤسسًا بذلك أول دولة علوية شيعية في الأندلس يُخطب باسمها على المنابر. ويذكر المؤرخون أن سياسته اتسمت بالصرامة والعدل، فعمّ الأمن قرطبة وأحبه الناس، غير أن اعتماده على بعض الأمويين كأبي حزم بن جهور وأحمد بن برد كان خطأً، إذ تآمروا عليه واغتالوه سنة 408هـ. تولى بعده أخوه القاسم بن حمود، لكن

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الفتن بين أبناء الأسرة العلوية أدت إلى سقوط الدولة لاحقًا.

حكمت دولة بني حمود نحو نصف قرن (407–456هـ)، معتمدة على قبائل البربر الشيعية، وأبرزها قبيلة صنهاجة وزعيمها زاوي بن وزيري، التي شكّلت القوة الضاربة في مواجهة الخارجين والمتمردين. وقد خلقت الدولة الحمودية جوًا شيعيًا في أنحاء الأندلس، فانتشر الفقه والأفكار الشيعية، وظهر عدد من العلماء والأدباء مثل الشاعر عباد بن ماء السماء، كما انتقلت كتب الشيعة من المشرق إلى الأندلس فأثرت في الفكر الديني والسياسي والأدبي والفلسفي. وأصبحت الألقاب والأنساب الشيعية ظاهرة حضارية يفتخر بها أهل الأندلس.

وبعد سقوط الدولة الحمودية دخلت الأندلس مرحلة حكم الطوائف، حيث تفككت الولايات واستقل الولاة بإمارات منفصلة، وانتشرت الحروب والنزاعات بينهم، ومن بين هذه الإمارات إمارات بربرية شيعية، مثل إمارة بني مناد في غرناطة، وبني يفرن في رندة، وبني خزرون في أركش، وبني دمّر في مورون وغيرها.

الاستنتاجات

1. الوجود الشيعي المبكر لم يكن محدوداً بل كان منتشراً ومؤثر فكريًا.
2. العوامل السياسية لعبت دورًا رئيسيًا في ظهوره.
3. الفكر الشيعي انعكس بشكل أوضح في الأدب والشعر.
4. العلاقة مع السلطة الأموية اتسمت بالتوتر، مما حدّ من انتشاره المؤسسي.
5. الحركات الشيعية الكبرى مثل بنو حمود، الأدارسة، والفاطميين عززت حضور الفكر الشيعي في الغرب الإسلامي وأثرت في الأندلس.
6. الثورات الشيعية المبكرة مثل ثورة عبدالله بن سعيد وشقيا المكناسي والحسين الأنصاري، كشفت عن عمق المعارضة للأمويين، خاصة بين القبائل البربرية.
7. هذه الثورات أرهقت الدولة الأموية اقتصاديًا وعسكريًا، وأظهرت هشاشة سلطتها أمام الحركات الشعبية ذات الطابع الديني.
8. الدولة الحمودية كانت أول تجربة حكم شيعي منظم في الأندلس، وأوجدت بيئة سياسية وفكرية جديدة، حيث انتشر الفقه والأدب الشيعي، وظهر علماء وشعراء بارزون.
9. بعد سقوط الدولة الحمودية، استمر حضور التشيع في مرحلة الطوائف عبر إمارات بربرية شيعية مستقلة، مما يدل على أن التشيع ظل جزءًا من المشهد السياسي والثقافي في الأندلس.
10. هذه الحركات مجتمعة تؤكد أن التشيع في الأندلس لم يكن مجرد تيار فكري، بل تحوّل في بعض الفترات إلى مشروع سياسي واجتماعي ترك بصماته على التاريخ الأندلسي.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

خاتمة

يمكن القول إن التشيع في الأندلس كان ظاهرة فكرية وسياسية متشابكة، بدأت ببذور صغيرة منذ عهد الفتح، ثم تطورت إلى ثورات ومحاولات سياسية، وبلغت ذروتها مع دولة بني حمود، غير أن قوة الأمويين ثم المرابطين حالت دون استمراره، ليبقى أثره الثقافي والفكري حاضراً في الأدب والشعر أكثر من السياسة، فإن التشيع في الأندلس لم يكن حركة جماهيرية واسعة، بل ارتبط بالظروف السياسية والمعارضة للأمويين. ومع ذلك، فقد ترك أثرًا فكريًا وثقافيًا في الأدب والشعر، وأسهم في إثراء التنوع الفكري والديني في المجتمع الأندلسي. كما أن الحركات الشيعية الكبرى مثل بني حمود والأدارسة والفاطميين وفرت نماذج سياسية عززت حضور الفكر الشيعي في الغرب الإسلامي، وأثرت بشكل مباشر، ويتضح من خلال استعراض الثورات الشيعية في الأندلس بدءًا من ثورة عبد الله بن سعيد بن عمار، مرورًا بثورة شقيا المكناسي، وثورة الحسين بن يحيى الأنصاري، وصولًا إلى ثورة أحمد بن معاوية المعروف بـ"ابن القط" - أن هذه الحركات لم تكن مجرد أحداث عابرة، بل مثّلت محاولات جادة لتأسيس حضور شيعي سياسي في مواجهة السلطة الأموية، وقد بلغت هذه المحاولات ذروتها مع قيام الدولة الحمودية العلوية في مطلع القرن الخامس الهجري، التي مثّلت أول تجربة حكم شيعي منظم في الأندلس، وأوجدت بيئة ثقافية وفكرية شيعية تركت أثرًا عميقًا في المجتمع الأندلسي.

ورغم أن هذه الدولة لم تستمر طويلًا، فإنها ساهمت في ترسيخ حضور التشيع كظاهرة سياسية وفكرية، وأثرت في مرحلة الطوائف التي أعقبتها، حيث ظهرت إمارات بربرية شيعية مستقلة في مناطق مختلفة من الأندلس.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

المصادر

1. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1421ق).
2. ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس.
3. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (مؤسسة الأعلمي للمنشورات 1971م)، ج4 ص 123، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، دار بيروت 1402ق).
4. ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار الثقافة، لبنان.
5. أبو بكر محمد بن عمر ابن قوطية، تاريخ فتح أندلس، ترجمة حميدر رضا شيخي، (مشهد، آستان قدر رضوي، 1378ش).
6. أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1418ق)، ج2.
7. حسين مؤنس، فتح الأندلس.
8. خليل ابراهيم السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، (بيروت، دار المدار اسلامي 2004م).
9. دراسات حديثة في الفكر الشيعي والأندلسي.
10. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، (دار التعارف، بيروت).
11. عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب.
12. عبد الله ناصري طاهري، فاطميان در مصر، (قم، حوزه ودانشكاه، 1379ش).
13. فيليب حتي، تاريخ عرب، ترجمة أبو القاسم؟ اينده، (تهران، آ?اه، 1380ش)، ص 666. محمد رضا ?اك، انديشه كلامى وفلسفى در مغرب، (www.Shareh.com).
14. محمد بن احمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413ق)، ج16.
15. محمد سهيل طقوش، دولت ايوبيان، ترجمة عبد الله ناصري طاهري (قم، حوزه ودانشكاه 1380ش).
16. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس.
17. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.
18. نور الدين آل علي، اسلام در غرب، (دانشكاه تهران، 1370ش).

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٦، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

للتواصل

00964- 7710122232

Alfaidcenter2011@gmail.com

www.al-faidh.com

العراق - بغداد - الكرادة